



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلام والمسلمون في الصين

الكتاب 105 سبتمبر (أيلول) 2015

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

طوائف المسلمين في الصين: الوجود والاختلافات

أسامة عبدالسلام محمد منصور*

المسلمون في الصين، ملف غامض حتى اليوم، وأسئلة حائرة تدور في ذهن كل مسلم يهتم بقضايا المسلمين في العالم: هل هناك مسلمون في الصين؟ كم عددهم؟ كيف حياتهم ومعيشتهم؟ هل لهم مساجد يؤدون فيها صلواتهم؟ هل كلهم من السنة أم من الشيعة؟ هل هم جماعة واحدة أم إنهم فرق وطوائف كإخوانهم في العالم الإسلامي؟ وغيرها من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات شافية.

(* باحث وأكاديمي مصري، محاضر في كلية الدراسات العربية (جامعة نينغشيا، الصين).

والحقيقة أن الذي يزور الصين للمرة الأولى ويصادف المسلمين فيها، فإنه يشعر بالسعادة لما يراه من مظاهر إسلامية: مساجد ممتلئة بالمصلين، ومصلون جميعهم يعتمرون الطواقي البيضاء، وأحياء إسلامية ومطاعم مزدانة بالشارات الإسلامية واللافتات العربية. لكن ما إن تتعمق قليلاً في هذا المجتمع إلا وتنتابك الحيرة والدهشة والتعجب أحياناً، فهم فرق وطوائف مختلفة وعاداتهم عجيبة وأفعالهم مريبة، وإذا سألتهم عن ذلك أجابوك إجابات أعجب وأغرب.

وسأحاول في الصفحات القليلة القادمة الخوض في ملف الطوائف والمذاهب الإسلامية في الصين: متى ظهرت؟ وكيف ظهرت؟ وهل هي نتاج صيني بحت أم إنها انعكاس للمذاهب والطوائف التي ظهرت في بلاد العرب وآسيا الوسطى؟ متتبعا في ذلك تسلسلاً تاريخياً لهذه الطوائف، ثم سأبسط الحديث عن واقعهم الحالي وعلاقاتهم ببعضهم البعض ومع الحكومة، ومدى تأثير هذه العلاقة على وضع الإسلام والمسلمين في الصين ومستقبلهم.

التعريف بالطوائف الإسلامية في الصين

الصين دولة متعددة القوميات، فهي تضم (56) قومية بينها عشر قوميات مسلمة، هذه القوميات العشر تنقسم إلى قسمين: الأول: قوميات من جنس تركي كانت تسكن منطقة تركستان الشرقية، التي ضمتها الصين إليها وغيرت اسمها إلى شنجيانج ومعناه «الأرض الجديدة». يضم هذا القسم ست قوميات هي: الويغور، الطاجيك، القازاق، القرغيز، الأوزبك، والتتار، وهذه القوميات الست تسكن في منطقة شنجيانج، وأشكالهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى لغتهم تختلف عن الصينيين، ودائماً ما تشهد مناطقهم صراعاً بينهم وبين الحكومة الصينية، وخصوصاً قومية الويغور أكثر هذه القوميات عدداً.

أما القسم الثاني، فهو يشمل أربع قوميات هي: هوي، سالار، دونغشيانغ، وباوآن، وهؤلاء أصولهم عربية وفارسية، وقد جاء أجدادهم قديماً إلى الصين واستوطنوا فيها وتزاوجوا مع الصينيين وأصبحوا جزءاً من نسيج المجتمع الصيني وعاداته وتقاليده ولغته، إلا ما حرمه الإسلام مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير.

والمسلمون الصينيون عمومهم من أهل السنة، بالإضافة إلى نسبة قليلة من الشيعة يسكنون في منطقة شنجيانج. ومنذ وصول الإسلام إلى الصين أقام المسلمون في أماكن خاصة بهم كانت تعرف باسم (فانغ فونغ) أي «محلة الأجانب»، وأحياناً سمّاهم الصينيون «سوق الأجانب»، وكان لكل محلة شيخ ينتخب من قبل المسلمين، ويتولى أمورهم، وينظر في أمور التجار المسلمين طبقاً لأحكام الحكومة المحلية⁽¹⁾.

ولم يرد ذكر طوائف للمسلمين إلا مع عهد أسرة «يوان»، حيث ذكر الرحالة العربي ابن بطوطة، خلال زيارته لمدن الصين الساحلية، أنه رأى هناك جماعة من المتصوفة فيقول: «وكان بها من المشايخ الفضلاء: برهان الدين الكازروني، وله زاوية خارج البلد، وإليه يرفع التجار النذور، يندرونها للشيخ أبي إسحاق الكازروني»⁽²⁾.

أسباب ظهور المذاهب

وعلى الرغم من وجود جماعة من الصوفية، وبالتأكيد بعض الشيعة أيضاً، فإن المذاهب والطوائف الإسلامية في الصين لم تظهر إلا قبل ثلاثمائة سنة فقط، وذلك لعدد من الأسباب:

أ. بعدما انفتحت الصين على الخارج، تقاطرت إليها أعداد كبيرة من التجار ورجال الدين من العرب والفرس والهنود، ومن بينهم صوفيون قاموا بنشر مذاهبهم وسط المسلمين في مناطق شمال غرب الصين وجنوبها، وكان لذلك دور في ظهور المذاهب الحالية⁽³⁾.

ب. زيادة عدد المسلمين الصينيين المتوجهين إلى بيت الله الحرام بعد انفتاح الصين على الخارج، حيث تشير الإحصاءات التي أجرتها اللجنة القومية بمقاطعة

(1) باي، شويي، تاريخ الإسلام في الصين، دار الشعب، نينغشيا، 1952، ص 151.

(2) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1933، الجزء الثاني، ص 253.

(3) 丁明俊《西北伊斯兰教派门宦组织形态研究》，宁夏社会科学，4月2012年。P76.

دينغ، مينغ جون، بحوث في فروع المذاهب الإسلامية والصوفية في شمال غرب الصين، مجلة العلوم الاجتماعية، نينغشيا، العدد (173)، يوليو 2012.

قانسو سنة 1950 إلى أن عدد الحجاج السنوي في منطقة لينشيا منذ حكم الإمبراطور كانغ شي (1662-1722) إلى حكم الإمبراطور تشيان لونغ (1736-1795) كان يتراوح ما بين بضعة عشر فرداً وثلاثين فرداً، وقد زاد هذا العدد بشكل كبير خلال فترة وجيزة. وكان من بين هؤلاء الحجاج من تأثر بالصوفية خلال وجوده في مكة المكرمة وبعض البلاد العربية التي مر بها، وقاموا بنشرها بين المسلمين بعد عودتهم إلى بلادهم، ويُعد «ما لا تشي» مؤسس طائفة هواشي الخفية و«ما مينغ شين» مؤسس طائفة الجهرية - سيأتي الحديث عنهم - من قبيل هؤلاء الحجاج⁽⁴⁾.

ج. تمّ «ترويض المسلمين بالمسلمين»، عبر الخلافات المذهبية بينهم، فوُجعت صراعات دموية بين الطوائف الإسلامية وتركت في نفوسهم جرحاً كبيراً ما زالت آثاره موجودة إلى اليوم⁽⁵⁾.

د. نتيجة للصراعات التي نشبت بين الطوائف الإسلامية وبعضها، وبينها وبين السلطة الحاكمة؛ ظهرت أفكار تدعو إلى ضرورة التقريب بين الثقافتين الإسلامية والصينية، والإفادة من بعض الكتب المترجمة من اللغتين، وخصوصاً ما بذله كل من: «وانغ داي يوي» و«ليو تشي» و«ما تشو»، وهم رواد حركة ترجمة الكتب الإسلامية إلى الصينية. فظهر مذهب يدعو إلى فهم الإسلام من طريق الثقافة الصينية؛ تفادياً لتكرار المآسي السابقة⁽⁶⁾.

هذا بالإضافة إلى أن عدد المسلمين خلال هذه الفترات التاريخية قد كثر، وانتشروا في مناطق الصين المختلفة، واختلفت عاداتهم وتقاليدهم، واختلط بعضها بالثقافة الصينية القديمة، وبدأت تظهر المؤلفات الدينية التي تختلف في الرؤى والأفكار. كل هذا كان له دور كبير في ظهور الطوائف والفرق.

(4) 2 إبراهيم، فنج جين يوان، الإسلام في الصين، ترجمة: محمود يوسف لي هوان، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، 1991، ص91.

(5) المرجع السابق، ص104.

(6) 丁明俊 《西北伊斯兰教派门宦组织形态研究》，p77.

أهم الفرق والطوائف الإسلامية في الصين

في الصفحات التالية سنعرض لأهم الطوائف الإسلامية الموجودة حالياً في الصين، وهي كالتالي:

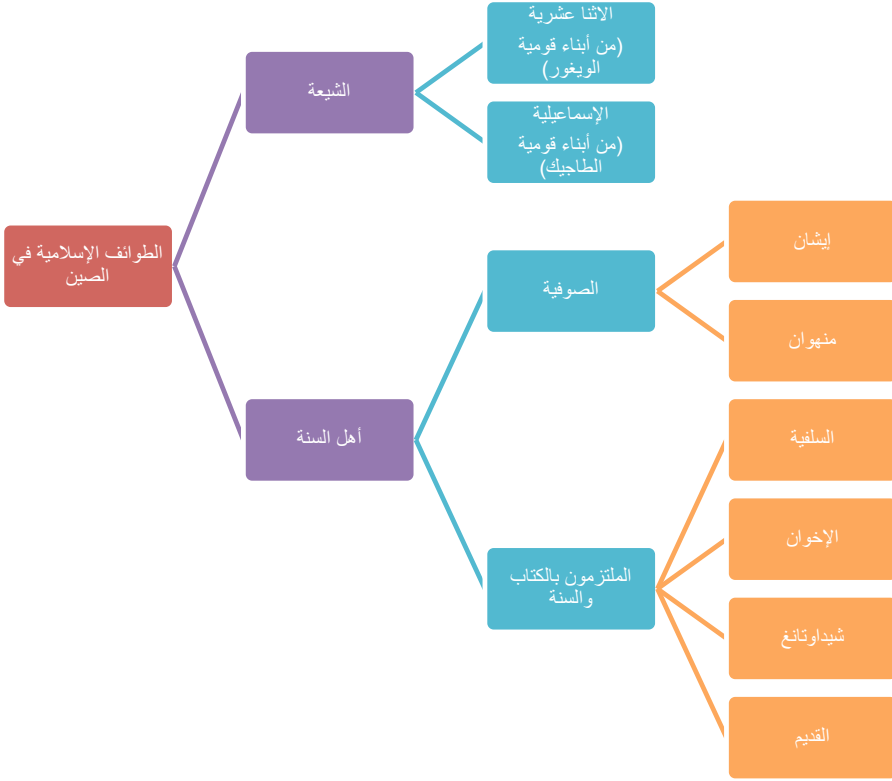
المذهب القديم

هو أحد المذاهب الإسلامية الموجودة في الصين منذ زمن بعيد، وهو في الأصل عبارة عن التقاليد والعادات التي ورثها المسلمون منذ دخول الإسلام إلى الصين. ولم يكن يعرف قديماً بهذا الاسم، وإنما سمي به تمييزاً له بعد أن ظهرت المذاهب الإسلامية المختلفة، وهو معروف عن المسلمين الصينيين بالاسم نفسه «قا دي مو» أي القديم. يلتزم هذا المذهب بالفكر السني الأصيل الذي كان موجوداً في صدر الإسلام الأول، والتمسك بالكتاب والسنة⁽⁷⁾.

يتصف أتباع هذا المذهب بالتسامح، ولا يجدون غضاضة في وجود مذاهب أخرى، بل يحترمونها ويقدرون قاداتها. لذلك، لم نجد في تاريخ المذاهب الإسلامية أي صراع بين هذا المذهب وبين غيره من المذاهب، على عكس المذاهب الأخرى. وربما يرجع ذلك إلى أن هذا المذهب دخلته مع مرور السنين بعض العادات والتقاليد الصينية، فأصبح يبدو وكأنه مذهب متوسط معتدل، يحظى أتباعه بالرعاية والاحترام حتى من السلطة الحاكمة.

(7) الموسوعة الإسلامية الصينية، ترجمة: رشا كمال، أحمد سعيد، دار تسشول للنشر، ينتشوان، نينغشيا، الطبعة الأولى، 2015، ص110.

مخطط للطوائف الإسلامية في الصين



وقد انتهج المذهب القديم أسلوباً تعليمياً داخل المساجد عرف باسم «التعليم المسجدي» كان له دور كبير في نشر الدين وتوعية المسلمين بالعلوم الإسلامية، وخرّج آلاف العلماء والأساتذة والأئمة الذين حملوا لواء الدعوة إلى الإسلام وتبليغه وحافظوا عليه لقرون عديدة. كما أنتج هذا المذهب عديد المؤلفات في العلوم الإسلامية المختلفة، التي كانت وما تزال تتناقل بين أيدي المسلمين⁽⁸⁾. ينتشر أتباع المذهب القديم في مناطق الصين المختلفة ويتركزون في وسط الصين وشمالها الغربي.

(8) الموسوعة الإسلامية، مرجع سابق، ص112.

الصوفية

تنقسم الصوفية في الصين إلى مذهبين كبيرين هما: مذهب إيشان ومذهب منهوان. وسأتناول كل واحد منهما بشيء من التفصيل كالتالي:

أولاً: مذهب إيشان

«إيشان» كلمة فارسية معناها «هم» وأصحابها من أوائل الذين سموا بالصوفية في وسط آسيا. وفي القرن الحادي عشر انتقلوا من مناطق بخارى وسمرقند إلى شنجيانج، فأصبح اسم إيشان مختصاً بالصوفية هناك⁽⁹⁾. وكان من بين هؤلاء الوافدين: هابي بلاكي الإيشاني، وأبو حب كبير، وراشد والي، والشيخ شاهبدين، وخوجة محمد يوسف، وخوجة هوا داود محمود، وخوجة محمد شريف، وسعيد أحمد كيسان بن جلال الدين، وغيرهم⁽¹⁰⁾.

وقد وصل هؤلاء الوافدون وغيرهم إلى شنجيانج في الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، فأخذوا ينشرون التعاليم الصوفية في مدن: «كاشغر» و«آتوش» و«كوتشار». وفي الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى الأربعينيات من القرن المنصرم ظهر في شنجيانج عدد من الصوفيين منهم: عبدالرحمن وميان مصموح، سيان ناصر خان، وكرم حان، قدموا من آسيا الوسطى إلى كاشغر ويارقند وخوتان ويتشنغ في شنجيانج، حيث نشروا التعاليم الصوفية، وكثير من الصوفية - اليوم - هناك يحتفظون بسلسلة نسبهم لهؤلاء، وهذا دليل على أن أصولهم كانت من بلاد العرب⁽¹¹⁾.

وقد ظلت الصوفية في شنجيانج تعرف باسم «إيشان» حتى القرن الثامن عشر، حيث بدأت تدخل إلى مناطق تشينغهاي وقانسو ونيغشيا في شمال غرب الصين،

(9) 马通 《中国伊斯兰教派门宦》，宁夏人民出版社，（修订版），第二版，2000年，P35.

ما تونغ، المذاهب الإسلامية في الصين، دار الشعب، نينغشيا، الصين، الطبعة الثانية، 2002، ص35.

(10) فتغ جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص85.

(11) المرجع السابق ص86.

فتأثرت بالبوذية وبالثقافة الصينية، فظهر ما يسمى «منهوان».

ثانياً: مذهب منهوان

هو لفظ يطلق على جميع المذاهب الصوفية الموجودة في الصين، وتذكر المصادر الصينية أن هذا اللفظ يحتمل معنيين: الأول أنها كلمة صينية أصيلة وتعني الأشخاص ذوي القوة والنفوذ. والثاني يقول بأن المرشد السادس للصوفية «ماشيان جونغ» قد افتتح فصولاً للدراسة وألحق بها أبناء المسلمين وغير المسلمين، وكان لذلك أثره في خلق جو من المودة بين المسلمين وقومية هان⁽¹²⁾، فكرمته حكومة أسرة تشينغ⁽¹³⁾ ومنحته لقب «منهوان»⁽¹⁴⁾.

وعلى الرغم من اختلاف لفظي «إيشا» و«منهوان»، فإنهما -في الواقع- يرمزان لفكر واحد لكنهما يختلفان باختلاف العادات والتقاليد والأفكار والرؤى.

فروع منهوان

القادرية

هي أحد الفروع الأربعة لمنهوان في الصين، وقد وردت إلى الصين من الخارج، وتنسب لشيخها الأول عبدالقادر الجيلاني⁽¹⁵⁾. وقد وصلت الصين في الفترة (1662-1795)، حيث وصل إلى الصين عدد من أتباع هذه الطريقة ومن أشهرهم «خوجة عبدالله» الذي يقول عنه أتباعه: إنه من ذرية النبي (عليه الصلاة والسلام) من الجيل التاسع والعشرين، وكان يعيش حياة العزلة ويسكن الجبال ويمتنع عن الزواج،

(12) قومية هان: هم العرق الصيني الأصل، وهم يشكلون أغلب سكان الصين.

(13) أسرة تشينغ (1644-1911م): هي آخر أسرة إقطاعية حكمت الصين، وقد استمرت في حكم الصين حتى أسقطها الحكم الجمهوري عام 1911. انظر: تاريخ الصين، سلسلة سور الصين العظيم، ج 2، ص 76.

(14) 马通 《中国伊斯兰教派门宦》， p 35.

(15) عبد القادر الجيلاني (أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله) (470-561هـ/1077-1168م) أحد علماء بغداد وأحد علماء الحنابلة وكان له شأن في الزهد فاجتمع حوله كثير من العوام، وكان له مدرسة ظل يدرس بها حتى توفيه. انظر: الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م، الجزء 20، ص 439.

ويعلل ذلك بأنه منشغل بتهديب نفسه وإصلاحها⁽¹⁶⁾.

وقد سماه أتباعه «بان لونغ» أي «التنين المجدد» تعظيماً له وإكباراً، وقد رحل إلى مناطق كثيرة في الصين، ففي عام 1674 وصل إلى مقاطعات قواندونغ وقوانغشي وسيتشوان على التوالي، وحط رحاله في قانسو وتشينغهاي، حيث قام بنشر التعاليم القادرية⁽¹⁷⁾.

وقد انقسمت هذه الطريقة بعد خوجة عبدالله إلى طوائف عدة كما هو مبين بخريطة الطوائف.

وأتباع القادرية يتبعون المذهب الحنفي، وقد تأثروا بالثقافة الصينية التقليدية عبر الزمن خصوصاً في طقوس الجنائز، وهم -إلى جانب الشعائر الأساسية- يدعون إلى التأمل الذي لا تحصل طاعة الله إلا به، وأنه يجب على المريد أن يتخلى عن الحياة الزوجية والسعي وراء المال والجاه، وأن يتجول في شتى الأرجاء لزيارة الأولياء والتكفير عن ذنوبه، كما يعتقدون أن الخلوات هي الوسيلة المثلى للوصول إلى الصراط المستقيم ومن كلامهم: «لحظة تأمل خير من عبادة ألف سنة»، ويعتبر «القطب» هو محور هذه الطريقة وهو الدليل والمعلم. ومن تقاليد هذه الطريقة إشعال البخور وتلاوة الأذكار صباحاً ومساءً، ويجب احترام النواهي الثلاثة: (الجنس والمال والرغبة) إلى جانب الالتزام بالمبادئ الخمسة: ترك الطعام - النهل من العلم - التقشف في الحياة - إشعال البخور صباحاً - الحفاظ على النظافة الشخصية⁽¹⁸⁾.

يتركز اليوم أكثر القادرية في شمال غرب ووسط الصين، وأغلبهم يسجدون أمام القباب وأمام قبور مرشديهم، وبعضهم لا يتزوج النساء. وهناك طائفة منهم لا يسجدون للقبور ويتزوجون النساء، وهؤلاء موجودون في نينغشيا وزعيمهم الحالي اسمه «ما تشنغ هاي»، وبالعموم فإن مساجد القادرية قليلة بعض الشيء، ويقدر عددهم اليوم بحوالي (250000).

(16) 马通 《中国伊斯兰教派门宦》，p64.

(17) فنغ، جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص84.

(18) الموسوعة الإسلامية، مرجع سابق، ص125.

الكبرية

تذكر الكتب الصينية أن هذه الطريقة تنسب إلى شيخ عربي اسمه محيي الدين، وقيل أتى إلى الصين ثلاث مرات، وقام بنشر التعاليم الكبرية في قوانغدونغ وقوانغشي وهونان وهوي وشنجيانج وخنان وتشينغهاي وقانسو على التوالي، واستوطن قرية دوانتو في محافظة لينشيا بمقاطعة قانسو⁽¹⁹⁾.

أغلب الظن أن صاحب هذه الطريقة ومؤسسها هو الصوفي الشهير محيي الدين بن عربي⁽²⁰⁾ وأن أحد أتباعه هو من قدم إلى الصين ونشر تعاليمها، لأنه لم يعرف عن ابن عربي أنه قدم إلى الصين. كذلك فإن لابن عربي طريقة معروفة بالكبرية، ويبدو أن الاسم حُرّف بعدما وصل الصين وصار يقال عنه «الكبرية».

والكبرية -اليوم- موجودون في مناطق شمال غرب الصين، وأعدادهم قليلة بالمقارنة بالطرق الصوفية الأخرى.

الخفية النقشبندية⁽²¹⁾

إحدى أكبر الطوائف الصوفية الموجودة في الصين، ولها فروع كثيرة مثل المفتي، بيجماتشانغ، بيتشوانغ، هومن، شيانمن، فامن، ونشيوانتانغ، وغيرها، لكن كبرى هذه الطرق وأشهرها طائفة «هواسي الخفية» التي تأسست على يد الشيخ

(19) فنغ، جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص 85.

(20) ابن عربي (محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي) (558-638هـ/1164-1240م) أحد أشهر المتصوفة، وقد لقبه أتباعه بالشيخ الأكبر، وإليه تنسب الطريقة الأكبرية. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، الجزء 23، ص 48.

(21) النقشبندية: تنسب إلى محمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري المعروف بشاه نقشبند (717-791هـ/1317-1388م). وأتباعها يزعمون أن هذه الطريقة مرت بمراحل عدة حتى وصلت إلى اسمها الحالي، فمصدرها الأول هو الصديق أبو بكر (رضي الله عنه) ثم سلمان الفارسي، وكانت تسمى وقتها صديقية، ثم أبو يزيد بن طيفور البسطامي حتى عهد عبد الخالق الفجدواني كانت تسمى طيفورية، ثم من عهد الفجدواني حتى ظهور محمد بهاء الدين كانت تسمى «خواجكانية» نسبة إلى ذكر الخواجكان الذي أدخله الفجدواني، ثم لما جاء محمد بهاء الدين نقشبند سميت «نقشبندية» لأنه قعد أصولها. وكلمة نقشبند مكونة من مقطعين: «نقش» وهو الختم أو الطابع الذي يطبع به، و«بند» ومعناه ربط وبقاء لا يمحي، والكلمة -إذن- تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه. انظر:

عبدالله، بن دجين السهلي، الطرق الصوفية، نشأتها وعقائدها وأثارها، دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص 91. محمد، أحمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، جروس برس للطباعة، طرابلس، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 11.

«ما لاي تشي» (1681-1766)، الذي سافر إلى الجزيرة العربية وأدى فريضة الحج ثم تنقل في عدد من البلاد العربية، فزار دمشق وبغداد والقاهرة، ثم بقي في اليمن مدة درس خلالها الطريقة النقشبندية ثم عاد إلى الصين عام 1734، وأخذ ينشر التعاليم الخفية أينما ذهب. وانتهى به الأمر بتأسيس طائفة «هواسي» الخفية النقشبندية⁽²²⁾.

سميت هذه الطريقة بـ«الخفية» لأنها تدعو إلى ممارسة الأذكار خفية أو سراً وعدم رفع الصوت بها⁽²³⁾. وقد لقيت انتشاراً واسعاً في مناطق شمال غرب الصين، وأصبح لها الكثير من الأتباع. وهذا أدى إلى قيام صراع بينها وبين الطريقة القادرية التي كانت وقتها تتزعم الساحة. وقد اشتد هذا الصراع حتى بلغ أوجه عام 1781 واستمر لمدة أربعين سنة، وراح ضحيته كثير من الأرواح والممتلكات.

ومن أهم تعاليم هذه الطريقة:

أ- أداء الشعائر المفروضة والسير في هدوء وإقامة خلوات التأمل والذكر همساً وخفية.

ب- يحترمون الأولياء المدفونين تحت القباب والأضرحة ويزورونها بالندور والهدايا.

ت- يقومون بالذبح والاحتفال بذكرى مولد ووفاة زعمائهم السابقين.

ث- يتقيدون بالنظام الوراثي في زعامة الطريقة حيث يرث الابن الأكبر أباه في الزعامة⁽²⁴⁾.

(22) فتنغ، جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص84.

(23) الذكر الخفي: ربما يرجع هذا الأسلوب إلى أحد شيوخ النقشبندية الأوائل وهو «عبد القادر الفجدواني»، حيث تذكر الكتب النقشبندية أنه كان يغطي في الماء ويذكر بقلبه. وهو بذلك أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة، وأول من أدخل هذا النوع من الذكر في التصوف. انظر: محمد، أحمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، ص16.

(24) الموسوعة الإسلامية الصينية، مرجع سابق، ص134.

واليوم تنتشر هذه الطائفة في مناطق الصين المختلفة، لكنها تتركز في مناطق شمال غرب الصين وبالتحديد نينغشيا وقانسو وتشينغهاي، وفي نينغشيا التي أعيش فيها، يتركز الخفية في جنوبها في محافظات تونغشين وقويوان وهايوان، وزعيمهم هناك اسمه «إبراهيم هونغ يانغ» وهو مشهور جداً في نينغشيا وله من الأتباع حوالي مليون شخص، وله مؤسسة خيرية كبيرة تضم مدارس ومعاهد، وهو يتحرك وسط أتباعه كأنه إمبراطور أو ملك متوج يحظى بهيبة كبيرة بينهم. ويقيم في المدينة نفسها التي أقيم بها -مدينة ينتشوان حاضرة مقاطعة نينغشيا- ويتولى منصب نائب رئيس حكومة المقاطعة.

وكل عام ترسل مؤسسته الخيرية خمسة وعشرين إماماً من الخفية يدرسون اللغة العربية والتاريخ والثقافة الإسلامية لمدة سنة كاملة في جامعة نينغشيا، وأتولى مع بعض الأساتذة في الجامعة تدريسهم.

أما ضريح أجداده فيقع في مدينة تونغشين، حيث تقام هناك الطقوس الخاصة بالخفية في المناسبات الدينية وتذبح الذبائح وتقدم النذور والأموال فيجمعها مريدوه آلاف مؤلفة، ويتدافع الناس لمصافحته كي تمسهم البركة والفلاح والنجاح.

الجهرية النقشبندية

إحدى الطرق الصوفية في الصين، وسميت بـ«الجهرية» لأن أتباعها يدعون إلى الذكر وقراءة القرآن جهراً. وتنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها «ما مينغ شين» (1719-1781) واسمه العربي: إبراهيم، ولد في مقاطعة قانسو وتكفله عمه بعد وفاة أبيه، ودرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية ثم خرج مع عمه إلى مكة لأداء فريضة الحج عام 1728، فتخلف عن عمه في بخارى، حيث بقي فيها مدة ثم ارتحل منها إلى اليمن حيث درس النقشبندية الصوفية هناك. وزار مكة وأدى فريضة الحج مراراً، ثم عاد إلى الصين عازماً على نشر ما تعلمه وتصحيح بعض الأخطاء التي كانت سائدة بين المسلمين الصينيين⁽²⁵⁾.

(25) محمود، يوسف لي هواين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار الهلال الأزرق، هونغ كونج، 2003 ص76.

ولأن «ما مينغ شين» كان فقيراً، فقد كان يشفق على الفقراء ويحس بهم، ولما عاد إلى بلده وجد الطوائف الصوفية هناك تتنازع فيما بينها، وكلُّ يتفنن في ابتداع وسائل لجمع المال والأتباع وبناء القباب والمساجد وترتيبها، وكانت أغلب هذه الأموال تحصل من الفقراء والعوام، وهذا كان يزيد من صعوبات الحياة لديهم؛ لذا فقد حدد منهجه في الدعوة كالآتي:

أ- تخفيف صلاة الجمعة من 16 ركعة إلى عشر ركعات⁽²⁶⁾.

ب- إنكار جمع الأموال من المريدين وعوام الناس، بل دعا إلى ضرورة رعايتهم والتصدق عليهم.

ت- إنكار بناء القباب والمساجد الفاخرة والمزخرفة، وتوفير هذه الأموال لما ينفع الناس.

ث- ضرورة اختيار المرشد وفقاً لعلمه وفضله وأخلاقه، لا كما تفعل الطوائف الأخرى بأن يرث الابن أباه.

ج- ترديد الأذكار جماعياً وبصوت جهوري لما له من وقع في النفس، لا أن يستأثر المرشد وخلفاؤه -فقط- بالتلاوة.

ح- تحريك الجزء الأعلى من الجسم أثناء الذكر؛ حتى يعيش المؤدي بجسده وروحه في الذكر فتصفو نفسه⁽²⁷⁾.

ولأن «ما مينغ شين» كان مضرب المثل في القول والفعل؛ فقد لقيت تعاليمه قبولاً واسعاً لدى الكثيرين؛ مما أثار حقد الطوائف الأخرى عليه وعلى مذهبه، وخصوصاً طائفة «هواسي» الخفية التي كانت وقتها أكثر الطوائف شهرة وأتباعاً. وكان زعيم هذه الطائفة هو «ما لاي تشي» وكان يقدر «ما مينغ شين» ويحترمه، فقد درساً معاً في اليمن؛ لذلك لم تحدث أي مشكلات بين الطائفتين طيلة حياة «ما لاي تشي». إلا أنه وبعد وفاته وتولي ابنه «ما قوه يا» زعامة طائفة هواسي؛ بدأ يكيد للجهرية ولزعيمها

(26) هذا الأمر ما زال موجوداً حتى اليوم في عموم مساجد الصين بطوائفها المختلفة، فهم يصلون الظهر بسننه والجمعة بسننها ويعلون ذلك بأنهم في ديار غير ديار الإسلام، وتالياً فربما لا تصح صلاة الجمعة فيصلون بعدها ظهراً.

(27) 马通《中国伊斯兰教派门宦》p 85.

«ما مينغ شين»؛ لأن أفكارها كانت تمثل خطراً على مصالحه الاقتصادية والسلطوية.

وقد استطاع «ما قوه يا» بصلاته القوية مع السلطة الحاكمة إصاق التهم بـ«ما مينغ شين» حيث تم نفيه خارج موطنه ومطاردة أتباعه، ثم قبض عليه وأودع السجن فنارت نائرة أتباعه في قانسو بزعامة تلميذه الأول «سوسي شي سان» عام 1781 وزادت حدة التوتر بعدما نُفذ حكم الإعدام في «ما مينغ شين» باعتباره قطب المتمردين⁽²⁸⁾.

وقد عمت الانتفاضة مناطق كثيرة في قانسو ونيغشيا؛ فأصدرت الحكومة قراراً بتحريم الجهرية ومطاردة أتباعها الذين تعرضوا لاضطهاد كبير، فكانوا يمارسون عباداتهم في الخفاء بعيداً من أعين الحكومة. وكان لتصدي الجهرية للسلطة الحاكمة أثره في تعاطف جموع كثيرة من المسلمين معهم، خصوصاً بعدما تبين مقدار الظلم الواقع عليهم، وكان ذلك سبباً في انتشار هذا المذهب⁽²⁹⁾.

بعد تحسن الأوضاع، استطاعت الجهرية أن تعود مرة أخرى للحياة، وانتشر مذهبها في مناطق كثيرة وحشد أتباعاً أكثر، لكنهم، وحتى يستطيعوا العيش وسط هذه الظروف، تخلوا - قليلاً - عن بعض تعاليم «ما مينغ شين»، فأصبح منصب المرشد وراثياً، كما تخلوا عن مبدأ التخلي عن جمع الثروات، فأصبح عدد كبير من زعماء هذه الطائفة من ذوي الثراء، وعملوا على جمع الأموال وزخرفة مساجدهم⁽³⁰⁾.

والجهرية - اليوم - يعتزون بزعيمهم الأول «ما مينغ شين» باعتباره شهيداً قدم روحه فداءً لمذهبه، وكذلك باقي أتباعه الذين قتلوا في الانتفاضات المسلحة، وقد سجلوا مآثرهم وتاريخهم كله في كتاب أسموه تاريخ الجهرية، وقد أهداني زعيم الجهرية في مدينة «ووتشونغ» في نيغشيا نسخة من هذا الكتاب قبل ثلاث سنوات (2012).

(28) لي هوا ين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، مرجع سابق، ص77.

(29) 马通《中国伊斯兰教派门宦》p 87.

(30) الموسوعة الإسلامية الصينية، مرجع سابق، ص144.

وهم ينتشرون -اليوم- في مقاطعات شمال غرب الصين ووسطها، ويتميزون عن غيرهم من الطوائف الصوفية بالطاقيّة سداسية الأركان التي ترمز عندهم لأركان الإيمان الستة (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر)، وشيوخهم -حتى اليوم- يخلقون جوانب لحاهم ويتركون وسطها تيمناً بزعيمهم «ما مينغ شين» حين تعرض للتعذيب على يد حومة أسرة تشينغ وحلقوا له جوانب لحيته.

شيدأوتانغ (مذهب الحضارة الصينية)

سمي بذلك لشدة تأثيره بالحضارة الصينية، ومؤسسه هو «ما تشي شي» (1857-1914) وقد درس الثقافة الكونفوشية منذ صغره، ثم اتجه بعد ذلك لدراسة الإسلام من طريق المؤلفات الصينية، وقد أفاد كثيراً من مؤلفات و مترجمات كل من «وانغ داي يوي»، «ليوتشي» و«ماتشو» وكانت دعوته هذه أمراً جديداً وغير مسبوق في ذلك الوقت، حيث أسس مدرسته الأولى وأعلن فكرته الأساسية فقال: «طبقاً للمعتقدات الإسلامية، يعمل مذهبنا على إيضاح الإسلام والدعاية له بثقافة بلدنا، والهدف من ذلك هو إحاطة الصينيين علماً بشريعة الإسلام»⁽³¹⁾.

وكالعادة، لم يرق فكر شيدأوتانغ للمذاهب الأخرى، فاتهموه بأنه يفسد الفكر الإسلامي الصحيح بما يعتمد عليه من كتب لا علاقة لها بالإسلام، لكن «ما تشي شي» استمر في دعوته، وقد ساعده في ذلك فكره الاقتصادي ومهاراته التجارية، حيث نفذ بعض المشروعات التي أغنت هذا المذهب عن أن يمد يده إلى أحد، وساعد على إقبال الناس عليه ما كان يقوم به من رعاية كاملة لأتباعه⁽³²⁾.

وقد سار أتباع «ما تشي شي» على نهجه في هذا الفكر، وكان أبرزهم «ما مينغ رن» (1896-1946) الذي كان بارعاً في إدارة المشروعات الزراعية، فاستطاع خلال سنوات قليلة أن يجعل هذا المذهب من أغنى المذاهب الإسلامية في الصين، فكان يملك عشرات الأراضي الرعوية وآلافاً من رؤوس الماشية وعشرات من المحال

(31) فنغ جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص102.

(32) محمود يوسف لي هواين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، ص114.

التجارية، وكان هذا كله داعماً في استمرار هذا المذهب⁽³³⁾.

حظي هذا المذهب باستحسان الصينيين غير المسلمين، حيث وجدوه جسراً يربط بين الثقافتين الإسلامية والصينية، وقد خصص الصحفي الصيني الشهير «فان تشانغ جيانغ» (1909-1970) بعض الصفحات في كتابه «الركن الشمالي الغربي من الصين» للتعريف بمذهب شيداو تانغ حيث قال: «إن هذا المذهب جدير بأن يستأثر بالاهتمام فلسفياً واجتماعياً، ذلك بأنه يشدد على أهمية الثقافة ويقوم بنشر التعاليم الإسلامية اعتماداً على الثقافة الصينية»⁽³⁴⁾.

ويجمع هذا المذهب في طياته صفات مشتركة من المذهب القديم وبعض المذاهب الصوفية السالفة الذكر، فهو يقيم الشعائر الدينية الأساسية ويحتفل بالمناسبات الدينية مثل الصوفية، لكنه لا يبني القباب أو الأضرحة. كما أنه يتبع نظام المرشد الأعلى والزعيم الأكبر. وأتباعه يقيمون في مجموعات تنتشر في مناطق شمال غرب الصين ويتركزون في قانسو وتشينغهاي، ويبلغ عددهم الآن حوالي (1000) أسرة⁽³⁵⁾.

الإخوان

ليس لهذه الطائفة علاقة بجماعة الإخوان المسلمين المعروفة في مصر والعالم العربي، وقد تأسست على يد الشيخ «ما وان فو» (1853-1934) في قانسو في قرية «قويوان» ومعناه «البستان»، لذلك كان يسمى أحياناً بـ«ما البستاني»، وقد درس القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ثم سافر مع بعض زملائه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عام 1888، وكانت وقتها الدعوة الوهابية تلقى رواجاً في بلاد الحجاز، فتأثر بها «ما وان فو» وزملاؤه، وأدركوا أن المسلمين في الصين يخالفون أحكام الإسلام في كثير من الأمور، ففقدوا عزمهم على ضرورة نشر الفكر الصحيح فور عودتهم،

(33) الموسوعة الإسلامية الصينية، مرجع سابق، ص147.

(34) فتنغ، جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص103.

(35) الموسوعة الإسلامية الصينية، مرجع سابق، ص148.

وعندما عادوا إلى الصين عام 1892 شرعوا في تنفيذ ما اتفقوا عليه⁽³⁶⁾.

وعلى الرغم من أن ما دعا إليه «ما وان فو» كان جديداً على المجتمع الذي كان يعيش فيه، فإن علمه الوافر وحججه الدامغة جعلت كثيراً من الناس يقبلون عليه. وسمي مذهبه هذا «الإخوان»، ولا نعرف لماذا سمي بهذا الاسم، هل لأنه دعا لهذا الفكر وهو وبعض أصحابه، أم إن الاسم جاء تأثراً بحركة الإخوان التي نشأت وقتها في الجزيرة العربية⁽³⁷⁾. وقد أسس مدرسته التي ركزت على ضرورة الاهتمام بدراسة الفقه والشريعة والدعوة - بكل قوة - إلى إصلاح كل ما يخالف الشريعة من المراسم الإسلامية⁽³⁸⁾.

وقد وضع «ما وان فو» عشرة بنود لمنهجه الإصلاحية سميت بـ«بنود ما البستاني»، ذكرها الأستاذ «ما تونغ» في كتابه: «مختصر الطوائف الإسلامية في الصين»⁽³⁹⁾.

كان لمذهب الإخوان أثر كبير في مجتمع المسلمين الصينيين، فقد كشف أخطاء كثيرة ومخالفات جمّة كانت تمارسها الطوائف الصوفية، ولم تستطع هذه الطوائف تبرئة نفسها، وكان دفاعها الوحيد هو إلصاق التهم بأن هذا المذهب وهابي متشدد لا يمت إلى الإسلام بصلة، وهو مذهب غريب عن المسلمين الصينيين. واليوم ينتشر الإخوان في مقاطعات الصين شمالاً وجنوباً، وليس لهم رئيس أو زعيم، وإنما لهم فكر واحد يجمعهم، وأغلب أئمتهم درسوا في الدول العربية، لذلك لغتهم العربية جيدة وعلى دراية بأصول الدين، ولهم مدارس ومعاهد إسلامية تنتشر في مناطق التجمعات الإسلامية، تدرس فيها العلوم الإسلامية والمذاهب الأربعة، ومنهم عدد

(36) محمود يوسف لي هوا ين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، مرجع سابق، ص 110.

(37) ظهرت حركة الإخوان في الجزيرة العربية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسموا «إخوان هجر» لأنهم كانوا بدوا يعيشون في الصحراء، فجلبهم محمد بن سعود إلى الحضر وبنى لهم دوراً وكانوا يده اليمنى في توحيد الدولة السعودية. انظر: أمين، الريحاني، تاريخ نجد الحديث، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، بيروت، 1928، ص 242. انظر أيضاً: جون، حبيب، قراءات في التاريخ المعاصر: اسهام الاخوان في توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالله بن منصلح النفيعي، 1996، ص 33.

(38) شيو، يوان، المسلمون الصينيون، أسئلة وأجوبة، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، 1991، ص 179.

(39) 马通《中国伊斯兰教派与门宦制度史略》，宁夏人民出版社，第一版，1983年。P120.

ما، تونغ، مختصر نظام المذاهب الإسلامية والصوفية في الصين، دار الشعب، نينغشيا، الصين، الطبعة الأولى، 1983، ص 120.

كبير يعمل في الوظائف الحكومية وعلى علاقة جيدة بالحكومة، وكذلك تربطهم علاقات بالجامعات والمؤسسات العلمية في الدول العربية، حيث يرسلون إليها دفعات من الطلاب الخريجين لاستكمال الدراسة، ويتلقون دعماً مادياً وعينياً من هذه المؤسسات، ولكن تحت سمع وبصر الحكومة.

السلفية

إحدى الطوائف الإسلامية الموجودة على الساحة الآن في مجتمع المسلمين الصينيين، وقد ولدت من رحم طائفة الإخوان لما رأى بعض الإخوان أنها لم تلتزم تماماً بالتعاليم الإسلامية الصحيحة، ومارس بعض قياداتها نظام المواءمة والحياد في بعض الأمور والشعائر، انفصل هؤلاء عن الإخوان وسموا أنفسهم بـ«السلفية» نسبة للسلفية الموجودة في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج.

وينسب هذا المذهب إلى «ما ده باو» في قانسو و«مالين» حاكم مقاطعة تشينغهاي والإمام «ما لونغ نو» الذين ذهبوا لأداء فريضة الحج عام 1936 وعند عودتهم حملوا بعض الكتب الخاصة بالفكر السلفي وعكفوا على دراستها وبحثها ثم نشرها بين المسلمين، وقد وجدت آراؤهم معارضة من الطوائف الأخرى، حتى من طائفة الإخوان التي رأت في هذا الفكر تطرفاً وتشدداً، ولم تلق أفكار «ما ده باو» انتشاراً بادئ الأمر، إلا أنه مع سبعينيات القرن الماضي بدأت تنتشر وتحشد لها أتباعاً وأصبحت تعرف بـ«السلفية الصينية»⁽⁴⁰⁾.

يرتكز الفكر السلفي في الصين على نهج نظيره في البلاد العربية تماماً «قرآن وسنة بفهم سلف الأمة»، ولم يكن مسموحاً للسلفية بنشر أفكارها داخل الصين، ولكن مع التغييرات التي شهدتها الصين وانفتاحها على العالم وكذلك علاقتها المتميزة مع السعودية؛ سُمح لهذا الفكر بالانتشار وإنشاء المدارس والمعاهد، لكن طبقاً لقانون الصين. ولذا؛ تنتشر -اليوم- مدارس السلفية ومعاهدهم في شمال غرب الصين وجنوبها ووسطها وجنوبها الشرقي. وقد زرت قبل ست سنوات معهداً في قانسو اسمه

(40) 勉维霖 《中国回族伊斯兰宗教制度》，宁夏人民出版社，第二次印刷，1999年，p 382

ميان وي لين، نظام الدين الإسلامي لقومية هوي، دار الشعب، نينغشيا، الطبعة الثانية، 1999، ص 382.

«المعهد السلفي» وعرفت من مديره أنه بني بتمويل سعودي على مساحة (5000) متر مربع، وتكلف حوالي خمسة ملايين يوان صيني، وأن مناهجه الدراسية هي المناهج التي تدرس في السعودية. كذلك يوجد في مدينة «ووتشونغ» في نينغشيا معهد يسمى معهد الثقافة الإسلامية، بُني عام 2003 وتشرف عليه السعودية والكويت⁽⁴¹⁾.

أسباب انتشار السلفية

يرى كثير من المسلمين الصينيين أن من أسباب انتشار السلفية، الجهود التي يبذلها القائمون على نشر هذا الفكر من خلال الاهتمام بالدارسين ورعايتهم رعاية كاملة. كذلك استخدامهم للأساليب الحديثة في الدعوة والتوعية مثل الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي؛ مما مكنهم من الوصول إلى شريحة أكبر من الناس في أي وقت وأي مكان.

كذلك، بعد سياسة الإصلاح التي طبقتها الصين زاد عدد الحجاج إلى بيت الله الحرام وقد تركت رحلة الحج في نفوس كثير منهم انطباعاً جديداً غير طريقة تفكيرهم، حتى إن بعض الصينيين الآن ربما يكون صوفياً لكنه يدفع بابنه لدراسة العلوم الشرعية والالتزام بالكتاب والسنة.

بالإضافة إلى انتشار المدارس وجودة التعليم فيها وحرص الكثير من أبناء المسلمين على الالتحاق بها، كي يضمن فرصة السفر إلى البلاد العربية⁽⁴²⁾.

ويعتقد السلفيون الصينيون أن السعودية هي منبع الدين الصحيح؛ فهي بلاد الحرمين الشريفين؛ لذلك ترى أغلبهم يلبسون كما يلبس السعوديون، وكذلك نساءهم، وهم مختلفون عن غيرهم من المسلمين الصينيين، سواء في ممارسة العبادات أو حتى في لهجتهم، فهم يدرسون القرآن الكريم والحديث الشريف وعلم

(41) انظر الملاحق، توجد صور لهذين المعهدين.

(42) 马英明 《中国赛莱菲耶的历史与现状（紧随穆斯林前三代回归经训指引的中国穆斯林简史）》 <http://www.china774.com/blog/blogShow.asp?Tid=31612>

انظر: ما ينغ، مينغ، السلفية بين الماضي والحاضر، دعوة للاقتداء بالسلف الأول. انظر أيضاً: Yang Gui-ping : Contemporary Salafism and its influence on Chinese Muslims, Journal of Hui Muslim Minority Studies, First issue of the magazine in 2013.

التجويد؛ لذلك فلغتهم العربية أفضل كثيراً من غيرهم، وهم متأثرون كثيراً بالعلماء السلفيين⁽⁴³⁾.

أما عموم الطوائف الإسلامية، فتري أن السلفية بمنهجها هذا بعيدة من اعتدال الإسلام ووسطيته، ويرون أنها تريد العودة بالمسلمين إلى عصور الإسلام الأولى، من دون الأخذ في الاعتبار خلفية المجتمع الذي يعيشون فيه ونظمه وقوانينه، وضرورة التواصل مع الأفكار والثقافات الأخرى. والسلفيون - بدورهم - يرفضون هذا. ولذا؛ فالخلاف قائم إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

الشيعة

يرى البعض أن وصول الشيعة إلى الصين يعود إلى القرن الثامن الميلادي، عندما وصل جماعة منهم إلى مناطق شمال غرب الصين، قادمين من خراسان هروباً من الحكم الأموي، واستقروا هناك وكانوا يعملون سماسرة بين الصين والتجار الأجانب⁽⁴⁴⁾.

وحتى إن صدقت هذه الرواية أو لم تصدق، فالحقيقة أن وجود الشيعة في الصين في العصور الأولى كان أمراً طبيعياً، وخصوصاً أن أغلب هجرات المسلمين إلى الصين عبر طريق الحرير كانت تمر بالعراق وبلاد فارس، وكان للشيعة انتشار ملحوظ في تلك البلاد وقتها.

انصهار الشيعة وسط السنة

كان عدد الشيعة الذين وصلوا للصين قليلاً بالمقارنة بالسنة. لذا؛ لم نلاحظ لهم تأثيراً واضحاً، ولم يرد ذكر أي خلافات بينهم وبين السنة، ويبدو أنهم عاشوا مع السنة جنباً إلى جنب تحت سقف واحد، لكنهم احتفظوا بأفكارهم ومعتقداتهم⁽⁴⁵⁾.

(43) Yang Gui-ping : Contemporary Salafism and its influence on Chinese Muslims.

(44) فنغ، جين يوان، الإسلام في الصين، مرجع سابق، ص 88.

(45) 白寿彝：《中国伊斯兰史存稿》人民出版社，银川，宁夏，1982，p 262.

انظر: باي شويي، تاريخ الإسلام في الصين، دار الشعب، ينتشوان، نينغشيا، 1982، ص 262.

والشيعة - اليوم - يسكنون في منطقة شنجيانج الصينية، ويعيش قرابة (30) ألف نسمة من أبناء قومية الطاجيك أتباع الشيعة الإسماعيلية في مدن: طاشيكورقند، يارقند، تزي بو، ويتشنغ وغيرها. ومعظم أبناء قومية الطاجيك في هذه المناطق من البدو ورعاة الماشية. وقياساً إلى المسلمين من القوميات الأخرى، تكاد تكون أنشطتهم الدينية قليلة للغاية، ومساجدهم أيضاً⁽⁴⁶⁾.

أما الويغور في شنجيانج، فبعضهم يعتنق المذهب الشيعي الاثني عشري، وهم عدد قليل ولا يختلفون عن باقي أفراد قوميتهم السُّنة في شيء من العادات أو التقاليد ونمط الحياة، وكانوا - وما زالوا - يعملون في التجارة مع الهند وباكستان، وخصوصاً تجارة الأدوية والحريير والمنتجات الزراعية والأحجار الكريمة⁽⁴⁷⁾.

منهج الشيعة في نشر مذهبهم في الصين

يستخدم الشيعة - اليوم - منهجاً دقيقاً، وذلك بهدف جذب عدد كبير من مسلمي الصين، ولهم في ذلك أساليب عديدة منها:

أ. إغراء عدد كبير من الشباب المسلم الصيني بالفرص الهائلة للدراسة في إيران، والاهتمام بهم ورعايتهم بدرجة لافتة للنظر. وقد تحدث طلاب مسلمون صينيون درسوا في إيران عن الرعاية والعناية التي تلقوها، من تحمل جميع نفقات الدراسة، وتميزهم هناك بمستوى معيشي مرتفع جداً، حتى تمنى هؤلاء الطلاب أن يعودوا إلى إيران هم وأسرهم وأصدقائهم.

ب. محاولات إيهام مسلمي الصين بأنهم من الشيعة، سواء في أصولهم الفارسية؛ لأن فارس كانت بوابة دخول الإسلام إلى الصين، أو من خلال أسمائهم التي تحمل أسماء آل البيت، مثل: علي، حسن، حسين، فاطمة، وغير ذلك من الادعاءات التي لا أرى لها أصلاً. وقد ساعد هذا المد الإيراني إهمال الدول العربية الإسلامية لمسلمي

(٤٦) ليوشوفانغ، الشيعة في الصين، المركز العربي للمعلومات، بكين.

(٤٧) المرجع السابق.

الصين، وإيثار النزعات العصبية والمصلحة الخاصة على المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

الخلافاً المذهبية

اتضح من خلال العرض السابق أن المذاهب والطوائف الإسلامية الصينية كانت في أغلبها واردة من خارج الصين. لذا؛ فحالها كحال نظيرتها في البلاد العربية والإسلامية من الاختلاف، الذي يصل أحياناً إلى العداوة والقطيعة. وعلى الرغم مما شهده التاريخ من صراعات بين المذاهب الإسلامية في الصين، فإن هذه الصراعات -الآن- لم يعد لها وجود وإن كان ما في القلب في القلب، فلا الظروف ولا الأوضاع تسمح بمثل هذه الصراعات الآن.

أولاً: علاقاتهم ببعضهم البعض

اليوم، الصوفية ليس بينهم صراع وإنما تنافس. أما بالنسبة لعلاقة الإخوان والسلفية بالصوفية، فهي علاقة شبه مقطوعة، فهؤلاء لا يصلون في مساجد هؤلاء، وقد لمست ذلك بنفسني مراراً. وأما العلاقة بين الإخوان والسلفية، فهي لا تختلف كثيراً عن سابقتها، فالإخوان يصفون السلفية بـ«المتشددين»، والسلفية يصفونهم بـ«المنافقين المبدلين»، وما يزيد الأمر تعقيداً أن السلفية دائماً ما تقول: نحن الفرقة الناجية وما عدانا في النار.

ثانياً: نظامهم الخاص وأثره على استمراريتهم

كانت الصوفية -قديماً- هي صاحبة اليد العليا، لكن مع ظهور الإخوان والسلفيين انكسرت رقعة الصوفية وبدأت في التآكل، وهذا له أسباب كثيرة منها:

أ. اتباع الطرق الصوفية جميعها نظام السلطة العليا والسلسلة الهرمية الوراثية، حيث يقع المرشد على قمة الهرم ومن خلفه الأتباع ثم المريدون، ويخلف الابن الأكبر أباه في منصب المرشد، وهذا أضعف هذه الطرق كثيراً، فقد تسلسل

الجهل إليها جيلاً بعد جيل، ولم تستطع أن تحشد لها أتباعاً جديداً إلا ما ندر. على عكس الطوائف الأخرى التي لا تتقيد بزعيم، ولا تكون الأفضلية فيها إلا لذوي العلم والفضل.

ب. اعتمدت الطرق الصوفية في نظامها التعليمي على كتب بعينها لم تتغير منذ مئات السنين، فأنحصرت معارف أتباعها بين دفتي هذه الكتب، على عكس الإخوان والسلفية، حيث درس أكثرهم خارج الصين وبعدها عادوا أسسوا مدارس ومعاهد تضم مواد دراسية في مختلف العلوم، ولم يفتن الصوفية لذلك إلا مؤخراً.

ج. اعتمدت الصوفية في مصادر دخلها على تبرعات المحسنين والندور والأوقاف، وكانت تنفق أموالها على بناء القباب وزخرفتها، وقد قلت مصادر دخلها بمرور الأيام فضعفت وضعف تأثيرها في الناس. على عكس المذاهب الأخرى التي اعتمدت في مصادرها على المشروعات التجارية. فاليوم، الإخوان والسلفية لهم عشرات المدارس والمعاهد التي لها مردود مادي وعلمي قوي.

هل للخلافات المذهبية تأثير على مستقبل الإسلام في الصين؟

على الرغم من أن الخلافات المذهبية موجودة، فإن أتباعها حريصون -كما ذكرنا سابقاً- على ألا تظهر على السطح، حتى لا تجر عليهم ويلات كالتي حدثت لأسلافهم. والمسلمون الصينيون -اليوم- شديدو الولاء للحكومة الصينية، والوازع الوطني لديهم مقدم على الوازع الديني، كما أن الوسيلة المثلى لنيل ثقة الحكومة وتقلد المناصب الحكومية، تكمن في الانتساب إلى الحزب الشيوعي الصيني والالتزام بمبادئه.

الملاحق

القادرية في قانسو بشمال غرب الصين، يشعلون البخور في ذكرى زعمائهم السابقين



الخفية النقشبندية



طوائف المسلمين في الصين: الوجود والاختلافات

إبراهيم هونغ يانغ زعيم الخفية في نينغشيا



أتباع الخفية في قبة أجداد هونغ يانغ في تونغشين



صورة مع مرشد الجهرية في ووتشونغ بنينغشيا



كتاب تاريخ الجهرية



طلاب المعهد السلفي في قانسو



طلاب معهد الثقافة الإسلامية «تساو يوان» بمدينة ووتشونغ في نينغشيا

